أسلوب التشبيه المرسل في كتاب بلاغات النِّساء
لابن طيفور (ت٢٨٠هـ)

الأستاذ الدكتور
خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
المدرس المساعد
زينب عبد الله كاظم الموسوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

أسلوب التشبيه المرسل في كتاب بلاغات النِّساء لابن طيفور (ت٢٨٠هـ)

الأستاذ الدكتور
خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
المدرس المساعد
زينب عبد الله كاظم الموسوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

التشبيه من الفنون الإبداعية الأصيلة عند العرب، فقد توالى في كلامهم، وتتابع في أشعارهم، وعليه ارتكزت نصوصهم الإبداعية، لما له من خصائص ومميزات ذات تأثير نفسي وعقلي، تنتقل بالمتلقي من أفق إلى أفق آخر أرحب.

والتشبيه في المفهوم اللّغوي كما ذكره ابن منظور(ت٧١١هـ) الشبه والشبيه: المثل؛ وأشبه الشئ: ماثلة، واشبهت فلانًا وشابهته واشتبه علي، وتشابه الشّيئان واشتبها: أشبه كلّ واحد منهما صاحبه، والتّشبيه: التمثيل(١).

وفي الاصطلاح عرفه الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله:" الإشتراك في الصِّفة يقع مرّة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرّة في حكم لها ومقتضى فالخد يشارك الورد في الحمرةنفسها، وبحدّها في الموضعين بحقيقتها، واللّفظ يشارك العسل في الحلاوة لا من حيث جنسه بل من جهة حكم وأمر يقتضيه"(٢)، ويظهر أنّ الجرجاني (ت٤٧١هـ) قد قدّم تصوراً متكاملاً عن التشبيه، فهو أكثر من وقف عند التشبيه إذ جعل كتابه" أسرار البلاغة" خاصّاً بمباحث علم البيان، وفيه عرض في اسهاب لصور التشبيه المختلفة، و فرق بين أنواع التشبيهات، ومنها التشبيه المرسل الذي سيُعنى البحث بدِّراسته.

ولأسلوب التشبيه جمالية خاصّة تكمُن بما يُضفيه المبدع من مقاصد لطيفة ونوايا ابداعية، ولقدرة هذا الأسلوب على توحيد أفق المتلقين حتى مع تباعد وحدات الفكر، فقد حظي بأهمية كبيرة، وكان الشعراء يتسابقون للإجادة في

تشبيهاتهم، حتى أنّ القدامى ربطوا هذا الأسلوب بقيمهم كالشرف عندما عدوا التشبيه أشرف كلام العرب، وكذلك ربطوه بالفطنة، والبراعة، والأريحية، والحسن، وهذا يدلّ على شغفهم به، والبحث يرى أنّ التشبيه الجميل ما يؤدي إلى التأمل، ويأخذ المتلقي إلى واحة التفكير، وخصوصيّة جماله تكمن بالمقاربة بين طرفيه والحرص على حسنه، والمرأة الأديبة أدركت هذه المزايا في التشبيه فأكثرت منه؛ لذا جاء متوافراً في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور(ت٢٨٠هـ)، ممّا حدا بالوقوف عنده ودراسة الوظائف التي أدّاها، وبيان المقاصد التي عمدت المرأة إيصالها إلى المتلقي.

شواهد التشبيه المرسل
في كتاب بلاغات النِّساء لابن طيفور(ت٢٨٠هـ)

وهو ما ذكرت فيه الأداة (٣)، ويسمى بالتشبيه المرسل أو المفصل(٤)، وفيه يرسم الأديب صورته بطريقة " كاملة الإيضاح تؤدي المعنى كاملًا دون غموض أوإبهام، فلا يلتبس على الإنسان ما المقصود من التشبيه "(٥)، وإنّما يكون ظاهراً للعيان غير مُجهد للفكر.

ومثاله في كتاب بلاغات النساء ما ورد في قول زوجة أبي زرع: " خَرَجَ مِنْ عِنْدِيْ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَإِذَا هُوَ بِأُمِّ غُلَامَيْنِ كَالفَهْدَيْنِ، فَتَزَوَّجَهَا وَطَلَّقَنِيْ "(٦)، إذ جاء التشبيه في قولها: (غُلَامَيْنِ كَالفَهْدَيْنِ) حيث بينت أنَّ لهذهِ المرأة التي رآها أبو زرع وتزوجها غلامين ناعمين هادئين يتسمان بالنجابة وحُسُن الخُلُق كـ: (النائمين)، ويظهر أنَّ تشبيه أمِّ زرع ليس فيه أي تغيير في دلالة الألفاظ، والصورة لم تضفِ على النّص ايحاءً جديداً بقدر ما أسهمت في تلاحم الألفاظ وهذا التلاحُم أدّى إلى تنامي المعنى من جهة، واثبات المزية للمشبه به من جهة أخرى، وهذا الإثبات هو سبب توظيف المتكلِّمة لأُسلوب التشبيه في نصِّها فمن خلال هذهِ المزية كشفت عن نجابة هذهِ

المرأة وحُسن تربيتها لابنيها ممَّا جعل أبا زرع يتأثر بها ويتزوجها، وعلى ضوء ذلك يكون التشبيه قد أدّى دوره في إيصال الغاية إلى المتلقي.

ويلتقط البحث صورة تشبيهية مُؤثرة في قول الخنساء:

(البسيط)

وَإِنَّ صَـخْراً لَتَـأْتَمُّ الهُـدَاةُ بِـهِ كَأَنَّـــهُ عَلَـــمٌ فِـــيْ رَأْسِـــهِ نَـــارُ

لَـمْ تَـرَهُ جَـارَةٌ يَمْشِـي بِسَـاحَتِهَا لِرِيْبَـةٍ حِـيْنَ يُخْلِـي بَيْتَـهُ الجَـارُ(٧)

يرى البحث أنَّ الصورة التي رسمتها الشاعرة بقولها: (كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِيْ رَأْسِهِ نَارُ) مشحون بالعاطفة التي تُوحي بمكانة المُرثي في نفسها، ومدى تأثرها بفقده ويظهر للبحث أنَّ اختيار الخنساء لألفاظ نصِّها هو الذي أكسبها التأثير في المُتلقي فعلى الرغم من التباعد بين شخص (صخر) و (الجبل) إلّا أنّ الخنساء قد وافقت وآلفت بينهما، ممّا أدّى إلى توليد معنًى جديدٍ إذ جعلت صخرًا كالجبل الذي على قمته أُوقدت النار كي تُضيء للنَّاس وتكون لهم دليلًا، فقصدت أنَّه سيد قومه وكان كبار قومه يأتمون به ويهتدون من خلاله، وأنّه فيهم كـ: (الجبل) الذي وُضعَ في أعلى قمته نار من خلاله يجد الضَّال طريقه، وهذا من جميل التصوير إذ جاء مُؤثرًا بطريقة فنيَّة ونفسيَّة عجيبة.

وفي قول السيدة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لمروان بن الحكم عندما قال لها: " أَيَّتُهَا العَجُوْزُ الضَّالَّةُ سَاخَ بَصَرُكِ مَعَ ذَهَابِ عَقْلِكِ، فَلَا يَجُوْزُ شَهَادَتُكِ، قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَتَتَكَلَّمُ؟! فَوَاللهِ لَأَنْتَ إِلَى سُفْيَانَ بنِ الحَارِثِ بنْ كَلْدَةَ أَشْبَهُ مِنْكَ بِالحَكَمِ وَإِنَّكَ لَشِبْهُهُ فِيْ زُرْقَةِ عَيْنَيْكَ، وَحُمْرَةِ شَعْرِكَ مَعَ قِصَرِ قَامَتِه وَظَاهِرِ دَمَامَتِه، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الحَكَمَ مَادَّ القَامَةِ ظَاهِرَ الأُمَّةِ، سَبِطَ الشَّعْرِ، وَمَا بَيْنَكُمَا قَرَابَةٌ إِلَّا كَقَرَابَةِ الفَرَسِ الضَّامِرِ مِنَ الأَتَانِ المُقْرِّبْ "(٨).

يظهرالتشبيه المرسل في قولها: (قَرَابَةٌ إِلَّا كَقَرَابَةِ الفَرَسِ الضَّامِرِ مِنَ الأَتَانِ المُقْرِّبْ)؛ وذلك من خلال تشبيهها مروان بن الحكم بسفيان بن الحارث

وجعلها بينهما قرابة ثمّ تُشبيهها هذهِ القرابة بـ: (قرابة الفرس) الضّعيف الهازل من الحمارة المُقرِّب القريبة الولادة، وهذا التشبيه جاء ليكشف عمّا بداخل السيدة أروى من مشاعر اتجاه مروان بن الحكم وقد وظفت أُسلوب التشبيه المرسل، لإشعارهِ بقلّة شأنّه، ودناءة نسبه وهذا يؤكد " أنَّ التشبيه ليس تغيّرًا في دلالة الأصل والحلول محلّها وإنّما هو تعانُق لفظي من أجل مُضاعفة المعنى للنّص باختراع صورة جديدة في سعتها الدِّلالية؛ لغرض الوصول إلى استثمارات فكرية في المعاني المُكتشفة التي تختلف باختلاف مراتب التشبيه "(٩)، ويرى البحث أنّ بنت الحارث قد وفقت في توليد صورة جديدة لابن الحكم نتيجة الألفاظ التي اختارتها، والتي منحت نصّها مكوّنًا دلاليًّا أسهمت في الدخول إلى ذهنيّة المُتلقي وايقاف تصريحاته التي تجاوز فيها حدّه، وبذلك يكون التشبيه قد أدّى دوره من خلال التأثير في المتلقي.

ويجد البحث في كلام السيدة سودة بنت عمارة مع معاوية لما ردّ لها مالها من بشر بن أرطأة صورة تشبيهية في قولها: " إِلَيَّ خَاصٌّ أَمْ لِقَوْمِي عَامٌّ؟ قَالَ: مَا أَنْتِ وَقَوْمُك؟ قَالَتْ هِيَ وَاللهِ إِذَنِ الفَحْشَاءُ وَاللُّؤْمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا شَامِلًا، وَإِلَّا فَأَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي، قَالَ: اُكْتُبُوا لَهَا وَلِقَوْمِهَا"(١٠)، فقولها: (أَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي) عقد مشابهة بين نفسها وقومها لإشتراكهما في صفة (سلب مالهما) من قبل بشر بن أرطأة، وقد رسمت هذهِ الصورة لتؤكد لمعاوية أنَّها لا ترضى منه أن يرجع لها حقَّها دون قومها فلما رفضت أخذ مالها، وأرادت أن تجعل استرداد حق قومها شرطاً في قبولها لأخذ حقِّها وظفت أُسلوب التشبيه المرسل بقولها: (أَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي) فرسمت بذلك صورة واضحة لا تحتاج إلى جهد ذهني إذ لم يكن همَّها سوى تحقيق غايتها في استرداد الحق، ومع ذلك وعلى الرغم من وضوح الصورة التي رسمتها فقد استطاعت أن تنقل المُتلقي

من حيثيات التعبير المُعتاد إلى أُفق جديد غير مُتوقع إذ لم يكن معاوية ليتوقع منها أن ترفض استرجاع مالها وتقارن نفسها بقومها ممّا أدى إلى حدوث صدمة مفاجئة لديه وهذا ما قصدته بنت عمارة من فعل التغيير المنطقي عبر أُسلوب التشبيه المرسل.

ومثل هذا النوع من التشبيه ما ورد في قول امرأة كندية تصف نفسها قائلة: (المُتقارب)

كَأَنِّيْ جَنَى النَّحْلِ وَالزَّنْجَبِيْل وَصَفْوُ المَدَامَةِ وَالسَّلْسَبِيْل
يَزِيْنُ سَنَا الوَجْهِ لِيْ مَبْسَمٌ كَمِثْلِ اللآلِيْ وَعَيْنٌ كَحِيْلْ(١١)

في هذا النّص أكثر من صورة رسمتها هذهِ المرأة تصف فيها نفسها لزوجها إذ شبهت نفسها بـ: (العسل بطيبه) ثمّ تدرجت فوصفت نفسها بـ: (الزَّنْجَبِيْل) أي الطيب، ثمّ أظهرت لزوجها بأنّها كـ: (صَفْوُ المَدَامَةِ) أي ما صفا من الخمرة من خيرتها وخلاصتها، فهي تدخل للحلق بسهولة ولين بحيث يشعر صاحبها بعذوبتها في اثناء تناولها، ويرى البحث في هذا التشبيه المتعدد ورود التشبيهات مُتجاورة وفق نسق تصدرته الأداة (كأنّ) وهذا التجاور الذي ربط التشبيهات بعضها ببعض قد منح النّص نسقيَّة خلابة تبدو من خلال بنائه وصياغته.

وفي البيت الآخر يلتقط البحث صورة تشبيهية أخرى فهي تشبه وجهها باللؤلؤ المُشرق والمُستنير، كما وشبهته بالعين المكحولة، وهنا تظهر خصوصيَّة هذهِ الشاعرة المُبدعة من خلال نجاحها في استثمار مبدأ المُشابهة بدِّقة عبر الربط القصدي بين وجهها وبين اللآلئ، والعين الكحيلة، وهذا الربط يكمُن في وجه الشبه وهو (البياض) فهذهِ المرأة وظفت التشبيه المرسل لترسم صورة لوجهها الذي جعلت بياضه كـ: (بياض اللآلِي) وكـ: (بياض العَيْن) فجاءت الصورة غاية في الجمال؛ لإنصبابها في قالب المحسوسات لدى المتلقي.

وتتجلّى بلاغة التشبيه المرسل في وصف أمِّ معبد لرسول الله (ﷺ) لزوجها

قائلة: " رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الوَضَاءَة، أَبْلَجَ الوَجْه، حَسَنَ الخَلْق،... فَهُوَ أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيْد، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنَهُ مِنْ قَرِيْب، حُلْو المَنْطِق، فَصْلٌ لَا نَزِرٌ وَلَا هَذِرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَه خِرْزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ وَلَا تَشْنَؤُه مِنْ طَوْل، وَلَا تَقْتَحِمَهُ العَيْنُ مِنْ قِصَرٍ "(١٢)، ففي قولها: (كَأَنَّ مَنْطِقَه خِرْزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ) صورة تشبيهيّة نقلت المتحدِّثة من خلالها المتلقي من جوهر الشيء وهو (منطق رسول الله ﷺ) إلى شيء جميل مثلته بصورة بارعة وهو (خِرْزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ)، ويَلحظ البحث أنّ هذا الانتقال بعيداً لم يكن ليخطر على بال المُتلقي أضف إلى ذلك أنّه مُمتزج بكثير من التخييل إذ شبهت (المنطق) بـ: (خِرْزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ) وأرادت أنّ كلام رسول الله (ﷺ) كفصوص من جيد الجوهر الذي ينظم في سلك فيبهر جماله الرائي، وهذهِ صورة حسيَّة تُدرك بالرؤية ووجه الشبه هو الإنتظام اللَّطيف ضمن نسق واحد، ويرى البحث أنَّ السيدة أمّ معبد قد وفقت في رسمها لهذهِ الصورة بدِّقة وبذلك تكون قد وظفت الأُسلوب التشبيهي لتعرض لزوجها مشهداً حيًّا يرى من خلاله رسول الله (ﷺ) وهو يتحدَّث، كما ويستمع عبر هذا المشهد لمنطقه (صلوات الله تعالى عليه) الذي يخرج من فمه وينحدر إلى ذهن السامع كما تنحدر فصوص الجواهر المنظوم في السلك الذي انتظمت فيه، وعلى كل حال لا يمكن للمنطق أن يكون مثل فصوص الجوهر ولكن أمِّ معبد عمدت إلى هذا التشبيه؛ لادراكها بأنّه أروع لنفس المتلقي، وأدعى لاعجابه.

ويظهر هذا النوع من التشبيه في قول جارية لأبان بن تغلب عندما سألها: ألكِ بعلٌ؟ فقالت كان ونعم البعلُ كان، فدعي إلى مَالَه خُلِق، فقال لها: فهل لك في بعلٍ لا تُذمُّ خلائقُهُ، ولا تُخاف بوائقُهُ، فأطرقت طويلًا ثمّ قالت: [البسيط]

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِيْ سَاقٍ غِذَاؤُهُمَا مَاءُ الجَدَاوِلِ فِيْ رَوْضَاتِ جَنَّاتِ

فَاجْتَثَّ خَيْرَهُمَا مِنْ أَصْلِ صَاحِبِهِ دَهْـرٌ يَكُـرُّ بِفَرْحَـاتٍ وَتَرْحَـاتِ(١٣)

فالتشبيه المرسل في قولها: (كُنَّا كَغُصْنَينِ فِيْ سَاقٍ) إذ شبهت نفسها وزوجها بالغُصنين اللّذين يجمعهما ساق واحد، وهذهِ الصورة التي رسمتها هذهِ الزوجة إنَّما اكتست بها المعاني رفعة فقد جاء التشبيه على غير الأصل المعروف إذ إنّ الشاعرة جعلت المعقول محسوسًا على سبيل المُبالغة، ووجه الشبه العيش معًا في مكانٍ واحد والأكل والشرب من نفس الطعام والشراب، ومن هنا كان للتشبيه أثرٌ في النفس، ووقعٌ في القلب بحيث تراجع أبان بن تغلب عن طلبه خجلًا من ردّها الذي ولَّدَ هذهِ الصورة التشبيهية ولو أنّ الشاعرة اختارت تعبيراً آخرَ لما كان له في النّفس هذا الأثر القوي الذي يصور مدى قوّة علاقتهما فكأنّهما اتحدا في شخصٍ واحد.

وتتجلّى الصورة التشبيهية في قول عصيمة بنت زيد النَّهديّة في زوجها سعيد بن سالم الذي بغضته بُغضًا شديداً، فَلِيْمَتْ في ذلك فقالت: (الطَّويل)

يَقُوْلُوْنَ لَـمْ تَأْخُذْ عَصِيْمَةُ مَهْرَهَـا كَـأَنَّ الـذِيْ يَلْحَـى عَصِـيْمَةَ لَاعِـبُ
وَلَو مَارَسُوا مَا كُنْتُ فِيْهِ لَأُحْرِجُوا وَرَائِـي وَلَـمْ يَطْلُـبْ إِلَـى المَهْـرِ طَالِـبُ
كَأَنَّ رِيَاحًا مِنْ سَعِيْدِ بنِ سَالِمٍ رِيَـاحِ طِبَّـةَ بَالَـتْ عَلَيْهَـا الثَّعَالِـبُ
فَـإِنْ أَنْفَلَـتْ مِنْـهُ فَـإِنِّي حَبِيْسَـةٌ طَـوَالَ اللَّيَالِي مَا دَعَا اللهَ رَاغِبُ(١٤)

في هذا النّص أكثر من صورة تشبيهيّة تشبيهًا مرسلًا الأولى في قولها: (كَأَنَّ الذِيْ يَلْحَى عَصِيْمَةَ لَاعِب) وهذهِ الصورة جاءت بها الشاعرة لبيان أنّ زوجها سعيد ذا صفات غير محمودة وقد تأذّت منه فلامها بعض أهلها، ممّا دفع بها لرسم هذهِ الصورة التشبيهيّة كدليلاً على اثبات مُعاناتها؛ كي يكفوا عن لومها وتسفيه رأيها؛ لأنّها ترى إنّ الذين يلومونها لم يعيشوا مع زوجها ويرونه رأى العين فهو بنظرها ليس سويًا وأنّها قد وصلت معه حدًّا من الصبرِ بحيث بدأت

تشكو أذيتها فلما لِيْمَت شَبَهَت من لامها بالذي يرتع ويلعب وأرادت القول: بأنّ كلّ من يلومني فكأنّه يلعب، ولو عاش مع سعيد كما عشت لخرج تاركًا حتّى المهر، ويظهر أنّ عصيمة قد وفقت في توظيف هذه الصورة التي أرادت من خلالها ردع كلّ لائم لها، فجاءت صورتها بُرهانًا على كلامها وراسمة لِمُعاناتها، ثم أتبعت صورتها بأخرى كشفت فيها عن صفة من صفاته التي لا تحتمل إذ شبهت ريحه بريح الجلدة التي بالت عليها الثعالب فغدت رائحتها لا تُطاق حتى من بعيد فكيف بمن كان قريبًا منها، ويظهر أنّ الشاعرة سخرت هذا الأُسلوب من التشبيه تحقيرًا لشأن زوجها الذي بغضته إذ وصفته وصفًا ينمّ عن أنّه ليس قويًا ولا يحمي زوجته وقت الشدَّة وأنّه وضع نفسه موضع الذّل إذ لا نفع فيه، كما لانفع بالجلدة المستطيلة أو المربعة التي تكون في الدلو فإذا ما بالت عليها الثعالب ابتعد الناس عنها بسبب كراهة ريحها وهجروا الدلو؛ لعدم الانتفاع به، وبهذا التشبيه فإنّ النّهدية لم تبقِ بين زوجها وبين المشبه به فرق، بل صارت تلك الجلدة أصلًا برأسها، فحاله بحالها الذي هو هجران الناس لها أو رميها بعيدًا للتخلُّص من نتانتها، وبذلك وفقت الشاعرة بجعل المتلقي الذي يلومها يُسلِّم تسليمًا محضًا باعطاء الحقّ لها؛ وذلك لحسن رسمها للصورتين اللّتين تداخلت عناصرهما تداخلًا قويًا؛ نتيجة بدءها بالتشبيه التلقائي ومن ثمّ الاسباغ عليه بالتخييل الذي منح النّص بداعة وجمالية.

ويأخذ التشبيه المرسل حيزًا في كلام السيدة جمعة عند اشارتها لأحبِّ النِّساء إليها إذ ترسم صورة في قولها للقلمس: " أُحِبُّ الغَرِيْرَة العَذْرَاءَ(١٥)، الرُّعبُوبَة العَيْطَاءَ(١٦)، المَكْوُرَة اللَّفَاءَ(١٧) ذَاتَ الجَمَالِ والبَهَاءِ، وَالسِّتْرِ وَالحَيَاءِ، البَضَّةَ الرَّخْصَةَ(١٨)، كَأَنَّهَا فِضَّةٌ بَيْضَاءُ "(١٩)، ففي قولها (كَأَنَّهَا فِضَّةٌ بَيْضَاءُ) أبدعت صورة غاية في الجمال إذ جعلت المرأة كالفضّة البيضاء، وهذا

الربط بين المرأة والفضة يكشف عن تسخير السيدة جمعة علاقة قيمة الفضة الغالية بالمرأة إذ إنّ الفضة يتخذها الناس ثروةً يكتنزونها، وبعضهم يتخذها زينةً، والمعنى أنّ المرأة المحبوبة عندها ليست بأقل من الفضة فهي ثروة وكنز وهي زينة وبذلك صرحت المُتحدِّثة بأنّ المرأة المحبوبة عندها ليست بأدنى من الفضّة قيمة وجمالًا فهي تشبه الفضّة لجمالها وصفائها وارتفاع قيمتها، ويظهر من هذه الصورة أنّ السيدة جمعة رسمت للمرأة صورة فاتنة تُبين بجلاء أنّ مكانة المرأة في المجتمع، لا تكمُن في جمالها فحسب بل بقيمتها الكبيرة، واخفائها لمحاسنها، وعدم اظهار زينتها إلّا لمستحقها، فمثل هذه المرأة تنال استحسان المجتمع ومحبته وتكسب سمعة طيبة وثناءً حسنًا، وهذا هو وجه الشبه الذي قصدته السيدة جمعة إذ جعلتها كالفضة فالفضة تُكتنز وتُخفى عن عين السرّاق؛ لقيمتها الغالية، ولا يتخذ منها زينة إلّا لصاحبها وهكذا هي المرأة، وهذا الوجه يكشف للمتلقي عن ابداع المتحدِّثة في تضمين صورتها التشبيهيّة كثافات مارستها على المشابهة الأساس.

ومثل هذا النوع من التشبيه يظهر في قولها أيضًا: (الطَّويل)

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنَيا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ ... وَكَالفَيْءِ يَدْنُو ظِلُّهُ ثُمَّ يَقْلُصُ
وَكُلُّ مُقِيمٍ فِيْ الحَيَاةِ وَعَيْشِها ... بِلَا شَكٍّ يَوْمًا إِنَّهُ سَوْفَ يَشْخُصُ
يَفِرُّ الفَتَى مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ ... وَلِلْمَوْتِ حَتْفٌ كُلَّ حَيٍّ سَيَغْفُصُ
أَتَاهُ حِمَامُ المَوْتِ يَسْعَى بِحَتْفِهِ ... وَقَدْ كَانَ مَغْرُورًا بِدُنْيَا تَرَبَّصُ
كَأَنَّكَ فِيْ دَارِ الحَيَاةِ مُخَلَّدٌ ... وَقَدْ بَانَ مِنْهَا مَنْ مَضَى وَتَقَنَّصُوا(٢٠)

فالتشبيه المرسل في قولها: (بَنِي الدُّنَيا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ) وقولها: (كَالفَيْءِ يَدْنُو ظِلُّهُ ثُمَّ يَقْلُص) وقولها: (كَأَنَّكَ فِيْ دَارِ الحَيَاةِ مُخَلَّد) إذ شبهت أهل الدُّنيا بأحلام النائمين الذين عندما يستيقظون يجدوا أنفسهم في واقع يختلف عمّا كانوا عليه وهم نائمون، وفي الصورة الثانية شبهتهم وكأنّهم في هذه الدُّنيا

كالفيء أي كالظِّل الذي يظهر كبيرًا ومن ثَمَّ يبدأ يصغر حتى ينتهي بحلول الغروب أو الظّلام، وفي كلا الصورتين يُلحظ أنَّ الشاعرة تشبه مفرد بمركب وأمَّا في الصورة الأخيرة فقد ركزت على أنّهم مع أنَّ وجودهم كالحلم وكالفيء إلّا أنّهم يتعاملون ويتواصلون في هذهِ الحياة وكأنّهم خالدين فيها، ممّا يُلحظ في هذهِ الصور أنّه ليس الجمال فيها بقدر ما في الأُسلوب الذي نهجته الشاعرة هذا الأُسلوب الذي فرض التعاقب في الصور التشبيهيّة ممّا أدّى إلى لفت انتباه المتلقي بشكلٍ ملحوظ، ويظهر للبحث أنّ هاتين الصورتين قد أدتا الغرض الذي قصدته المُتحدِّثة من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ هذهِ المرأة حرصت على منح صورتيها الحركة وقد جعلتهما تنبضان بالحياة الباعثة للنفس وهذا ما زادهما جمالاً وتألقاً سحرا المتلقي وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى ذلك بقوله: " واعلم ممّا يزداد به التشبيه دقةً وسحراً أن يجيء من الهيئات التي تقع عليها الحركات "(٢١)، وهذا واضح على الصورتين إذ دفعتا الملل والجمود الذي كاد أن يكتنف النَّص.

وجاء التشبيه المرسل في قول السيدة أمِّ سنان بنت خيثمة يوم صفين تصف فيه أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) إذ تقول:

(الكامل)

هَــذَا عَلِــيٌّ كَالهِلَــالِ يَحُفُّــهُ وَسْطَ السَّمَاءِ مِنَ الكَوَاكِبِ أَسْعَدُ(٢٢)

فالسيدة بنت خيثمة بإيجاز واختصار شديدين رسمت صورة تشبيهيّة للتعبير عن حُبِّها لإمامها (عليه السلام) وتعلُّقها به؛ لأنّه الحق وقد حرصت على توظيف التشبيه المُرسل لتكشف للمتلقين بأنّ أحقيّة الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة واضحة كوضوح الهلال، وبهذهِ الصورة اسدلت الستّار على من أنكر الحق إذ أنّها أوغلت في تزيين الصورة واظهار دقائقها إذ اتحفتها بقولها: (يَحُفُّهُ وَسْطَ السَّمَاءِ مِنَ الكَوَاكِبِ أَسْعَد) أي أنّه مُنَصَب ومُؤَيد من

السماء وهذا الإتحاف للصورة منحها تكامل في الظهور، وما يُميز هذه الصورة أنَّها، وإن كانت من التشبيهات المألوفة إذ أنَّ الشعراء دائمًا يُشبهون بالهلال، لكنّ أمِّ سنان جاءت بمفرد وشبهته بمركب عندما شبهت رجُلًا بالهلال المحفوف بمجموعة من الكواكب وسط السَّماء فإنَّها وسعت دائرة شعورها حتى شملت مشاعر وأحاسيس المُتلقين، وبذلك نجحت في الولوج إلى عالمهم، فجاءت صورتها التشبيهيّة من روائع الصور، لما فيها من شعورٍ حقيقي، وصدق عاطفي نابع من عقيدة قويّة.

ويُلحظ التشبيه المُرسل في قول كسرة أمِّ ولد بردة بن مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم (٢٣): (الطَّويل)

دَعُوا البَكْرَةَ الأَدْمَاءَ لَا تُوْلَعُوا بِهَا ... فَلَمْ تَلْقَ فِي أَوْطَانِكُمْ مَا تَمَنَّتِ

كَأَنَّ شَآبِيْبَ الدُّمُوعِ بِخَدِّهَا ... شَآبِيْبُ مَاءِ المُزْنِ حِيْنَ اسْتَهَلَّتِ(٢٤)

في هذا النّص ترسم الشاعرة صورة تشبيهية تُدرك بالحس الذي يدخل فيه الخيال إذ إنّ المُتلقي من خلالهما يعيد إلى دائرة شعوره ما أدركه بحواسه؛ لينتقل بعدها إلى أُفق الخيال فدفعات الدِّموع وانصبابها تُدرك بحاسة العين واللَّمس فيَشعر بها الناظر بعد أن أدركها، ثمّ يرتحل بها إلى عالم التخييل فيرسم لها صورة من خياله تُوحي بأنّ نزول دفعات الدّموع من العين على الخدود تشبه نزول ماء السحاب حين تنصب على الأرض بشدّة وهذا ما كشفت عنه الشاعرة في قولها (كَأَنَّ شَآبِيْبَ الدِّمُوع كشَآبِيْبُ مَاءِ المُزْنِ حِيْنَ اسْتَهَلَّت) و (الإنصباب) هو وجه الشبه بين طرفي الصورة، من خلال هذه الصورة استطاعت الشاعرة أن تجعل المتلقي يستشعر ألم وحزن هذه المرأة التي تزوجت من المنقري ثمّ طلقت منه إذ إنّ الطلاق أمر ليس بالهين عند العرب ممّا أدّى إلى انصباب دموعها كما تنصب الأمطار من السحاب، وهذا الاستشعار إنّما هو بفضل البصر الذي له دور مميز في صوغ الصور التشبيهية

التي تعبر عن الخلجات النفسيّة، والنبضات العاطفية.

ومن تشبيهات السيدة عكرشة بنت الأطش يوم صفين: " قَاتِلُوا يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِيْنَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ دِيْنِكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيْمَتِكُمْ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيْتُم أَهْلَ الشَّام كَالْحُمرِ النَّهَّاقَةِ، وَالبِغَالِ الشَّحّاجَةِ، تَضْفَعُ ضَفْعَ البَقَرْ وَتَرُوثُ رَوْثَ العِتَاقِ "(٢٥).

في كلام بنت الأطش يلمس البحث دعوة لمواجهة جيش الشام، الذين شبهتهم بالحمير في جريها وبُطئها وصوتها المزعج، وأرادت أنّهم جيش متهور يهجم من غير وعي وكأنّ عقولهم فارغة فهم حُمُق لا يتبعون الحق، ويسيرون وراء الباطل، إذ باعوا الآخرة بالدُّنيا، وساروا على طريق الضلالة اتباعًا لمعاوية؛ ولذلك شبهتهم بالحمير الذين يُسَيرون من دون تخيير، والجامع بينهما هو (الحُمُق والضلال)، ومع أنّ الصورة واضحة المعالم إلّا أنّها جاءت لشحذ الهمم وتقويّة عزيمة المقاتلين فأدَّت دورها بهذا المشهد الحسي الذي جاء بصياغة فنيَّة جسدت المعنى حيًّا.

وفي قول بنت الشريد(٢٦) لإياس بن حسل لما قال لمعاوية: " اقْتُلْ هَذه يَا أَمِيْرَ المُؤْمنِيْنَ، فَوَاللهِ مَا كَانَ زَوْجُهَا أَحَقَّ بِالقَتْلِ مِنْهَا، فَالتَفَتَتْ إِلَيْه فَلَمَّا رَأَتْهُ نَاتِئَ الشِّدْقَيْنِ ثَقِيْلَ اللِّسَانِ، قَالَتْ: تَبًّا لَكَ، وَيْلَكَ، بَيْنَ لَحْيَتَيْكَ كَجُثْمَانِ الضِّفْدعِ، ثُمَّ أَنْتَ تَدْعُوهُ إِلَى قَتْلِي كَمَا قَتَلَ زَوْجِي بِالأَمْسِ؟! إِنْ تُرِيْدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِيْ الأَرْضِ، وَمَا تُرِيْدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِيْنَ "(٢٧).

صورة التشبيهية تكشف عن ألم السيدة آمنة من قول إياس الذي أشار على معاوية بقتلها، فجاءت بصورتها هذه كردة فعل لموقفه اتجاهها إذ شبهت الانتفاخ الذي يقع على جانبي فمه بالضِّفدع الميت والجامع بينهما هو الإنتفاخ فالضِّفدع عندما يموت ينتفخ بطنه فيعلو جثمانه وكذا جوانب الفم إذا نتأت فإنّها تعلو على الفم فيظهر الوجه وكأنّ خُدوده منتفخة من الورم، وفي رسم

صورتها استعملت الأداة (الكاف) لتربط طرفي التشبيه من خلالها، وواضح من الصورة أنَّ بنت الشريد لم ترد أن تُتعب مُخيلة المتلقي؛ لذلك جعلت معالم صورتها واضحة وتامّة الأركان وكان غرضها منها تلبية حاجتها النفسية، وتخفيف ألمها على نفس الطريقة التي بدأها ابن حسل، فجاءت الصورة مُناسبة والمقام الذي إلتُقطَت فيه.

وقالت امرأة كانت قد طُلِّقت ثمّ تزوجت من محلِّلٍ فأبى طلاقها، فقالت في زوجها الأول: (الطَّويل)

قِصَارُكَ مِنِّيْ النُّصْحُ مَا دُمْتُ حَيَّةً وَوُدٌّ كَمَاءِ المُزْنِ غَيْرُ مَشُوبِ
وَآخِرُ شَيءٍ أَنْتَ فِيْ كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِيْ(٢٨)

في البيت الأول رسمت الشاعرة صورة تُشبه فيها الحبّ الذي كان يُريده منها زوجها الأول، فالغرض البلاغي الذي دفعها لرسم الصورة هو اسماع زوجها الثاني الغاية التي كان يريدها منها زوجها الأول من نصحٍ وحبٍ خالص، ولما كان السِّياق هو لإثبات ذلك جاءت الصورة مُكتملة الأطراف إذ شبهت (الحب) الذي يبغاه منها ويريده بـ: (ماء السّحاب الأبيض) الذي يكون صافيًا أي غير مختلطٍ بشيء فينزل للأرض يغسلها ويُزيل الأدران منها كما ويغسل النبات فتصبح خُضرته رائعة الجمال لصفوِّها من الأتربة والغبار، والجامع بين المشبه والمشبه به هو (الصفاء والخلوص) وهذا واضح من المشبه به الذي أسهم وبشكل واضح في أداء المعنى من دون غموض أو إبهام.

وبأدوات كاملة واطار واضح ترسم زوجة أبي هلال بن مالك صورة تشبيهيّة ترد فيها على زوجها الذي ذمَّها إذ قالت: (الكامل)

يَا رُبَّ شَيْخٍ قَدْ تَوَلَّى خَيْرُهُ ذَرْبِ اللِّسَانِ كَأَنَّهُ ظَرِبَانُ
يَرْجُو الشَّبَابَ وَقَدْ تَحَنَّى ظَهْرُهُ وَعَفَاهُ بَعْدَ مَنَامِهِ الذُّبَّانُ(٢٩)

يُلحظ أنّ الشاعرة لم تعطِ للمتلقي فرصة للتخيُل أو التأمل، وإنّما رسمت

له صورة واضحة إذ شبهته بالحيوان النتن الرائحة الذي لا يُعاشرَ ولا أحد يُطيق مجالسته لنتانته وقُبح لسانه، وجاءت بالأداة (كأنَّ)، لأنَّ التشبيه بها أبلغ، وأرفع شأوًا وشأنًا (٣٠)، والجامع بين الطرفين هو الرائحة الكريهة النتنة ويظهر أنّ غرض الشاعرة من رسم هذهِ الصورة هو تلبية حاجتها النفسيَّة إذ جاء تشبيهها كرد فعل على قوله: (الكامل)

يَـا رُبَّ شَـمْطَاءِ المَفَـارِقِ حِـرْبِشٌ صَـمَّاءُ لَـيْسَ لِقَلْبِهَـا أُذْنَـانِ(٣١)

فأجابته برسم هذهِ الصورة التي شبهته بها بالحيوان النتن الرائحة تمثيلًا للصورة، وتعبيرًا لما في خاطرها، وتلبية لحاجتها النفسية؛ التي دفعتها لرسم صورة لا تحتاج إلى وقفة من المتأمل، فمشهدها بسيط وفكرته واضحة.

ومن التشبيه المرسل ما ورد في قول ليلى الأخيليَّة لعاتكة بنت يزيد بن معاوية (٣٢) زوجة عبد الملك بن مروان:- (الوافر)

أَعَاتِـكُ لَـوْ رَأَيْـتِ غَـدَاةَ بِنَّـا سُـلُوَّ الـنَّفْسِ عَـنْكُمْ وَاعْتِزَامِـيْ
إِذًا لَعَلِمْـتِ وَاسْـتَيْقَنْتِ أَنِّـي مُشَـيَّعَةٌ وَلَـمْ تَرْعَـيْ ذِمَـامِيْ
أَأَجْعَـلُ مِثْـلَ تَوْبَـةَ فِـيْ نَـدَاهُ أَبَـا الـذُّبَّانِ فـوْهُ الـدَّهْرِ دَامِـيْ(٣٣)

جج

فقد تكوَّنت الصورة التشبيهيّة في قولها: (أَأَجْعَلُ مِثْلَ تَوْبَةَ فِيْ نَدَاه) وفيها يلحظ البحث أنّ الشاعرة وسعت دلالتها ورسمتها بوضوح، وأرادت من خلالها أن تحقق استعمالًا ذا جمال وفائدة، فتحقق لها ذلك بالتشبيه المرسل الذي جاء في تركيب استنكاري مُتضمنًا لأسلوب التشبيه المرسل لوجود الأداة (مثل) وأرادت القول أتكون مثل توبة في عطائه واحسانه لإخوانه، وواضح أنَّ الشاعرة اتكأت في رسم صورتها على صفة أصيلة؛ لأنّ الجود والعطاء من الصِّفات العربية الأصيلة التي يعتزّ بها العرب، وهي إنّما جاءت بها لتمنح الصورة قوة وارتكازًا في ذهن المتلقي.

وهذا النوع من التشبيه ورد في قول امرأة من ولد طُلبة قبل أن تفترق عن زوجها من بني جسر:- (الطَّويل)

لَقَـدْ كُنْـتُ عَـنْ حِجْـرٍ بَعِيْـدًا فَسَـاقَنِي صُـرُوفُ النَّـوَى وَالسَّـابِقَاتُ إِلى حِجْـرِ جج

يَقُولُـونَ فُـرْشٌ مِـنْ حَرِيْـرٍ وَإِنَّمَـا أَرَى فُرْشَهُمْ عِنْدِي كَحَامِيَةِ الجَمْرِ(٣٤)

تكوَّنت الصورة التشبيهيّة في قولها: (فُرْشَهُمْ عِنْدِي كَحَامِيَةِ الجَمْرِ) وهذه الصورة أعطت للمعنى حضوراً واضحًا نتيجة وجود أداة التشبيه (الكاف) التي قامت عليها الدِّلالة على التشبيه المرسل، إذ شبهت (الفرش) بـ: (حَامِيَةِ الجَمْرِ)؛ وذلك لعدم راحتها مع زوجها وعدم توافقهما ممّا أدّى إلى افتراقهما، والشاعرة إنّما عمدت إلى استعمال (الكاف) لتقريب المعنى بين طرفي التشبيه إلى ذهن المتلقي، وبذلك يكون أُسلوب التشبيه المرسل قد أدّى دوره الوظيفي في الإفصاح عن كره هذه المرأة لزوجها، وعدم رغبتها في البقاء عنده، وايحائها للمتلقي بأنّ الفرش الحرير عندها حارقة ممَّا أكسب الصورة صفة الوهم التي أعطت للمعنى حضوراً واضحًا.

ويظهر التشبيه المرسل في قول بنات ذي الإصبع العدواني(٣٥) وكن يُخْطَبْنَ فلا يُزوِّجْهُنَّ، فخرج ليلةً إلى مُتحدَّثٍ لهنَّ فاستمعَ عليهنَّ، وهنَّ لا يعلمْنَ، فقلنَ: تعالَيْنَ فلنتمَنَّ، ولتصدُق كلُّ واحدةٍ منَّا، فقالت الكبرى: (الطَّويل)

أَلَا لَيْتَ زَوْجِيْ مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنَى حَدِيْثُ الشَّبَابِ طَيِّبُ الرِّيْحِ وَالعِطْرِ

طَبِيْـبٌ بِـأَدْوَاءِ النِّسَـاءِ كَأَنَّـهُ خَلِيْفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى هَجْرِ(٣٦)

فقلن لها: أنت تُحبين رجلًا من قومك، فقالت الثانية:- (الطَّويل)

أَلَـا هَـلْ أَرَاهَـا مَـرَّةً وَضَـجِيْعَهَا أَشَـمَّ كَنَصْـلِ السَّـيْفِ غَيْـرَ مُهَنَّـدِ

لَصُـوقٌ بِأَكْبَـادِ النِّسَـاءِ وَأَصْـلُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ أَهْلِ سَرْيٍ مَحْتَدِ(٣٧)

ففي قول الأولى تكمُن الصورة في قولها: (طَبِيْبٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاء كَأَنَّهُ خَلِيْفَةُ جَانٍ لَا يَنَام) إذ شبهت الزّوج الذي تتمنى أن يتقدَّم لخطبتها بـ: (خَلِيْفَةُ الجَان) وأرادت أنَّه يخلف عليها خيراً، ويقوم بواجبها ويسد مسد أهلها وقد أضافت (الخليفة) إلى (الجَان) فأضفى للمعنى حُلَّة جديدة أرادت بها أنَّها إذا ما حلّ بها شيء أو ذهبت لأهلها وانشغلت عنه فإنّه يصبح كخليفة الجان الذي لا يقدر على النوم ويستجِنُّ من الناس فلا يراه أحد، وبهذا التشبيه يلحظ البحث أنّ الشاعرة قد اخترعت صورة وهمية ليس لها وجود في الواقع إذ ليس هناك زوج يشبه الجن ويهجر النوم إذا ما هجرته زوجته، ويظهر أنَّ الشاعرة قد استمدت هذه الصورة من خيالها ومع ذلك فهي واضحة ولا تحتاج إلى جهد فكري كبير، وكان لحضور الأداة (كأنَّ) أثر فاعل في تقريب المعنى من جهة، وزيادة التخييل الذي لا يحتاج إلى تأمل كبير من جهة أخرى، فجاءت الصورة كاشفة عن المواصفات التي ترغبها هذه الفتاة فيمن ستقترن به في المستقبل، والتي تكمن في رجل من قومها وقد عمدت إلى أُسلوب التشبيه المرسل لإيصال مرادها ورغبتها إلى المتلقي بطريقة واضحة وشفافة لتطلب المقام ومناسبة لحال المخاطب.

وأمّا الأخرى فقد شبهت الزوج الذي تتمنى أن يتقدّم لخطبتها سيدٌ ذو أنفة يشبه حديد السيف وأرادت أن يكون قريبًا إلى زوجته ولا يُفارقها ويكون أصله من نفس قومها بحيث أنَّ شدّة القرابة بينهما كقرابة النصل إلى السيف وواضح أنَّ الشاعرة رسمت صورة واضحة أدّت المعنى كاملًا إذ لم يلتبس على المتلقي مقصودها، وقد جاءت بالأداة (الكاف) لتربط بين طرفي الصورة المشبه والمشبه به، وهذه الأداة " تمثل الدرجة العادية أو المتوسطة من درجات التشابه بين الشيئين "(٣٨)، وبهذا تكون الشاعرة قد وفقت في تسخير أُسلوب التشبيه المرسل لإعطاء المتلقي مشهداً لا يحتاج إلى جهد فكري.

ومن التشبيه المرسل ما ورد في قول ليلى الأخيليَّة: (الطَّويل)

وَقَائِلَـةٍ يَـا لَيْـتَ ابْنَتِـي شَـهِدْتَهُمْ أَجَـلْ لَـا وَلَكِـنْ فِـيْ العَدِيْـدِ المُـؤَخَّرِ
وَلَـوْ شَـهِدَتْ يَـوْمَ الكَنِيْسَـةِ بَـذَّهَا جَمَـالُ رِجَـالٍ فِـي الكَنِيْسَـةِ حُضَّـرِ
كَـأَنَّ جَلَابِيْبًـا عَلَـيْهِنَّ قُنِّعَـتْ شَمَارِيْخُ[٣٩] عَـرٍّ فِي سَحَابٍ كَنَهْوَرِ[٤٠]
وَكُـلُّ قُطُـوفِ المَشْـيِ[٤١] رُوْدٌ إِذَا مَـا مَشَـتْ مُرْتَجَّـةٌ[٤٣] المُتَـأَزِّرِ[٤٤]
خَرَاعِيْـبُ[٤٥] يَمْـؤُودٌ كَـأَنَّ شَـبَابَهَا سَدَائِفُ[٤٦] شَحْمٍ أَوْ أَنَابِيْبُ عُنْقُرِ[٤٧] [٤٨]

ففي قولها في البيت الثالث:

كَـأَنَّ جَلَابِيْبًـا عَلَـيْهِنَّ قُنِّعَـتْ شَمَارِيْخُ عَـرٍّ فِي سَحَابٍ كَنَهْوَرِ

ج

حددت الجلابيب بالتي قُنعت بعثكال عليه عنب كرؤوس الجبال بجرابٍ في سحاب مُتراكم وثخين وكأنّه قطع جبال، ولم تأخذ الصورة التشبيهيّة أكثر من هذا البعد الدّلالي؛ وذلك لحضور الأداة (كأنَّ) التي قامت بمهمة التقريب بين الطرفين، ويرى البحث أنّ هذه الصورة لم تؤد دوراً في السِّياق سوى ما تركته من أثرٍ جمالي أضفى على النّص لطافة.

وفي البيت الأخير يلمس البحث تشبيهًا مرسلًا في قولها:

خَرَاعِيْبُ يَمْـؤُودٌ كَـأَنَّ شَـبَابَهَا سَـدَائِفُ شَـحْمٍ أَوْ أَنَابِيْـبُ عُنْقُـرِ

في هذا النّص قامت الأداة (كأنّ) بمهمة التحويل من (سَدَائِفُ شَحْم) أو (أَنَابِيْبُ عُنْقُر) المشبه به إلى (شبابها) المشبه وهو الطرف الثاني، ومهمة التحويل هذه أدّت دوراً وظيفيًا يكمُن في توضيح الصورة مضافًا إلى ذلك حددت الدّلالة، فدّلالة الصورة ليست أكثر من تشبيه شباب الشّابة الحسنة القوام بشحم السنام وقصب البردي، والشّاعرة إنّما رسمت صورة لشابة جميلة بياضها كالشّحم وطولها كالقصب الذي أبيض ثمّ يستدير لإمتلائه بشكلٍ متساوٍ، وهذه صورة لشابة تتسم بالجمال الملفت للنظر. وقد جاءت

بالأداة (كأنَّ)؛ لتؤكد هذا الجمال وتحدده بقياسات واضحة تُدرك بالرؤية من خلال المُماثلة ببياض الشّحم وطول القصب، وبذلك تكون الصورة قد أدّت دورًا يكمُن في منح النّص جمالًا مؤثرًا.

ويظهر التشبيه المُرسل أيضًا في قولها: (الطَّويل)

لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتَ لِأُخْرَى فَارِعَ ذَاكَ خَلْيَلُ
تَخَالُكَ تَهْوَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا لَهَا مِنْ تَظَنِّيهَا عَلَيْكَ دَلِيلُ(٤٩)

في البيت الثاني جاءت الصورة التشبيهيّة عنصرً أساساً في تركيب الجملة، وكأنّ الشاعرة عمدت إلى رسم هذهِ الصورة لتبني عليها صياغة وتركيب البيت، إذ جعلت الزوجة تظنَّ بأنَّ زوجها يهوى غيرها وكشفت الصورة عن أنَّ ظنَّها مبنيٌّ على دليل أمسكته عليه، والشّاعرة هنا أرادت أن تأتي بصورة معبرة عن نفس وشعور هذهِ الزوجة من خلال اثارة احساس الزوج، وقد نجحت في رسم هذهِ الصورة بمشهدٍ واضح ومحدد إذ إنَّ الصورة لم تكشف عن دلالة أكثر ممّا أباحت به الصورة بطريقة فنيّة لطيفة.

وفي قولها تفخر بأمِّها وكانت أم ولدٍ: (الطَّويل)

وَلَمْ يَحْتَطِبْ أُمِّي عَلَى غَيْرِ ثُلَّه وَلَمْ يَحْتَطِبْ إِلَّا بِطَعْنِ المَقَاتِلِ
لِيَ المُورِدَاتُ المَوْتَ وَالمُصْدِرَاتُهُ أُوْلَاتُ المَنُونِ كَالقُنِيِّ الذَّوَابِلِ(٥٠)

في البيت الثاني تشبيهًا مُرسلًا زاد النّص رفعة واستقامة، وكان لإحضار الشّاعرة لأداة التشبيه (الكاف) دورٌ في وضُوح الدِّلالة وتحديدها إذ شبهت الموت بالرِّماح الدَّقيقة التي لا يُمكن أن تُخطئ، وهذا تشبيه واضح الدِّلالة لا يُوحي بأكثر ممّا عكسته الصورة، وبذلك أدّى حضور الأداة إلى تحديد الدِّلالة بوضوح.

ويظهر وجه الشبه في قول امرأة من هزَّان في ابنها وكان قد عقَّها: (البسيط)

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِيْ جِلْدِهِ زَغَبَا

حَتَّــى إِذَا آضَ كَالفُحَّــالِ شَــذَّبَهُ أَبَّــارُهُ وَنَفَــى عَــنْ مَتْنِــهِ الكَرَبَــا
أَمْسَــى يُمَــزِّقُ أَثْــوَابِي يُــؤَدِبُنِي أَبَعْدَ شَيْبِي عِنْدِي يَبْتَغِي الأَدَبَا(٥١)

هذا النّص يدلُّ بوضوح على حجم الأذيّة التي تُعانيها هذهِ المرأة من ابنها نتيجة عقوقه لها فرسمت له في البيت الأوّل صورة أوضحت فيها أنّه عندما كان طفلًا مثل فرخ الطير الصغير الذي تزق له أُمه الطّعام زقًا وليس لديه ريش فتحميه من تقلبات الجو وبهذهِ الصورة أوضحت أنّها ربّته حتى نبت اللّحم على عظمه وقوي عظمه حتى صار كالنخلة الكبيرة الحجم والعظيمة الشكل التي يُقطع عنها صاحبها القطع الزائدة عنها ليصلحها ويزيل الكرب عنها، وقد عبرت عن ذلك في البيت في قولها: (آضَ كَالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أَبَّارُه) وهذهِ الصورة إلى جنب الأولى (رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخ) تعكسان جهد الأم ومُعاناتها في تربية الولد حتى يكبر ويكون كالنخلة العظيمة والشامخة، فتنتظر منه أن يبرّها ويقوم بواجبها، ولكنَّ الشاعرة لم تحظ بولدٍ بار بل عاقٍ جعلها ترسم صور طفولته التي لم يعد يذكرها فنسي فضلًا، هذا ما أشارت إليه الشاعرة من خلال التشبيه المرسل الذي ساقته في البيتين الأول والثاني بطريقة نقلت فيها الألفاظ من صورة إلى أخرى على النحو الذي تُريده؛ لترسم للمتلقي صورًا حيّة نابضة بالألم والحزن الذي جاء واضحًا نتيجة حضور الأداتين (مثل) و(الكاف) اللّتين زادتا النّص جمالًا في السياق، ووضوحًا في المعنى.

ومثل هذهِ الصورة التّشبيهيّة ما ورد في قول امرأة في أخيها وزوجها وابنها:- (الرّجز)

أَفْرَدَنِــيْ مِمَّــنْ أُحِــبُّ الــدَّهْرُ مِــنْ سَــادَةٍ بِهِــمْ يَــتِمُّ الأَمْــرُ
ثَلَاثَــةٌ مِثْــلُ النُّجُــومِ زُهْــرُ فَــإِنْ جَزِعْــتُ إِنَّــهُ لَعُــذْرُ
وَإِنْ صَبَرْتُ لَا يَخِيبُ الصَّبْرُ(٥٢)

التشبيه الوارد في قول الشاعرة: (ثَلَاثَةٌ مِثْلُ النُّجُوم) له وقع يهزُّ أعماق

النفس؛ لما له من تأثير سحري عجيب إذ شبهت زوجها وأخاها وابنها بالنِّجوم التي لا تُدرك إلّا بالنظر عن بعد لا حدود له، فجاء تشبيهها ليؤدي فائدة الترويح والتنفيس والتخفيف عن شدّة ألمها على فقدهم إذ رسمت لهم صورة جميلة ومُضيئة أكدت فيها جمالهم وحسنهم وافادتهم للآخرين فهم كالنجوم التي تُضيء لأهل الأرض فينتفعون من ضياء نورها، ويستأنسون بجمال وجودها في السّماء، وقد جاءت بالأداة (مثل) دون غيرها؛ لبيان حالها على فقدهم من جهة، ولتأكيد صفة علو شأنَهم من جهة أُخرى، فجاءت صورتها تامّة الأركان واضحة المعالم تاركة آثارها على النّص بما أضفته عليه من جمال فني.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع أسلوب التشبيه في كتاب بلاغات النِّساء لابن طيفور (ت٢٨٠هـ) توصل البحث إلى جملة من النتائج، ليعرضها ثماراً يانعة، وهي:

- لكتاب بلاغات النساء أهمية أدبيّة، فهو بمثابة مرآة عاكسة لنتاج أدبي ضخم يكشف عن تجليات الإبداع عند المرأة، كما ويعطي صورة واضحة لقدرة المرأة وامكانيتها على رسم صور بيانية رائعة.
- وجد البحث قدراً هائلًا من صور التشبيه المرسل في كلام المرأة وخطبها وشعرها، وبهذا تأكد للبحث أنّ للمرأة القدرة على انتاج صور تشبيهية تتسم بالرّفعة؛ لما فيها من خصائص فنيَّة واسلوبيَّة ميزتها، كما كشف تشبيهاتها عن روعة التّصوير، وصدق المشاعر وقوَّة التخييل عندها وقد أفادت من أسلوب التشبيه المرسل، في رسم صور جاءت بالقدر الذي تستحسنه الأذواق وتستسيغه.
- الصور التشبيهيَّة التي رسمتها المرأة أضفت الحيوية على علاقتها بمن

حولها فالتشبيه روح التواصل العاطفي والخيال الملهم، وقد جاءت تشبيهاتها فاعلة ومؤثرة وهذا بديهي إذ إنّ طبيعة المرأة هي طبيعة وجدانية ميالة إلى الجمال والقيمة التشبيهية هي سر الجمال.

ـ الصور التشبيهيّة في كلام المرأة جاءت مؤثرة وعاكسة لقدرة المرأة على تفعيل عنصر التخييل لدى المتلقي، وهذا ما بدا واضحًا من خلال التفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية من جهة، وملاءمتها للجو العام بين المتكلِّمة والمتلقي من جهة أخرى، كما تبين للبحث أنَّ المرأة نجحت في رسم صور تشبيهيَّة مؤثرة، وهذا يؤكد قدرتها في التخييل للمتلقي أنّ المشبه في قوّة المشبه، مما أدى إلى اسهام التشبيهات في تقرير المعنى في ذهن المتلقي فضلا عن تخييل المبالغة في نفسه، والمرأة في أغلب تشبيهاتها عمدت إلى محاكاة ذات المتلقي؛ لغرض اثارة التعجب في نفسه، ووجد البحث أنَّ تشبيهاتها جاءت لتؤكد المعنى في نفس المتلقي عبر المبالغة في تحقق الوصف، وممّا يُلحظ أنّ الألفاظ التي استعملتها جاءت مُوحيّة ومُوضِحة الصورة تمامًا، وهذا ما جعلها تنفذ إلى القلوب بمجرد طرقها للأسماع.

ـ ظفر التشبيه المرسل في بلاغات النساء مجالا لم يظفر به أي لون آخر من ألوان التشبيه؛ وذلك لكثرة استعماله وهذا يعود إلى الطبيعة الانثويَّة ذات العاطفة المكتنزة التي تجد في اسلوب التشبيه منفذًا للتعبير عمّا يرتكز بداخلها، ولا يخفى أنّ استعمالها لأداة التّشبيه في صورها التشبيهية بكثرة يؤكد إلتفاتتها إلى أن الأداة هي المرتكز الأساسي الذي يوحي للمتلقي بأنّ المشبه غير المشبه به، مهما بلغ التداخل والإشتراك بينهما في الصِّفات.

ملخص البحث

التشبيه من الفنون الإبداعية الأصيلة عند العرب، فقد توالى في كلامهم، وتتابع في أشعارهم، وعليه ارتكزت نصوصهم الإبداعية، ومن خلاله عبر

العرب عما يختلج في صدورهم من صور ومشاهد، وعلى هذا فإنه ليس فناً طارئاً، ولا شيئاً مستجداً على البلاغة العربية بل هو أحد أهم أركان علم البيان، وله خصائص ومميزات ذات تأثير نفسي وعقلي، تنتقل بالمتلقي من أفق إلى أفق آخر أرحب، وله أنواع سيقف البحث على أكثرها توافراً في كتاب بلاغات النِّساء وهو (التشبيه المرسل) الذي تذكر فيه الأداة، وفيه يرسم الأديب صورته بطريقة تؤدي المعنى من دون غموض أوإبهام، فلا يلتبس على المتلقي ما المقصود من التشبيه، وإنّما يكون ظاهراً وغير مُجهد للفكر، وللتشبيه في كتاب بلاغات النساء جمالية خاصّة تكمُن بما تُضفيه المرأة من مقاصد لطيفة ونوايا ابداعية، وكثيراً ما كانت المرأة المبدعة تستثمر هذا الأسلوب في المناسبات التي تخلق فيها نصّها الإبداعي، ولذلك حظي هذا الاسلوب في كلام المرأة بأهمية كبيرة، وكانت أغلب النساء يتسابقن للإجادة في تشبيهاتهن.

Abstract

Simile is of the original rhetorical arts for the Arabs; it had been repeated in their speech and poetry, their creative texts depended on it. By which, the Arabs expressed their feelings and the scenes they observed. So it is not an accidental or new for the Arabic rhetoric, rather it is one of the main elements of eloquence. It has features and characteristics of physical and mental effects that take the receiver from one horizontal to another. It has different types, the research will study the most frequent one in Balaghat Al-Nisaa which is the continuous simile where the tool is mentioned, and the literate depicts in a way that gives the meaning directly without any ambiguous, so the receiver would have no effort to understand the simile. Simile in Balaghat Al-Nisaa has special beauty lies on the woman kindly and creative purposes. The creative woma

invested this style in the occasions that created. So this style occupies a great deal of importance; most of the women compete to give the best of the simile style.

هوامش البحث

(١) لسان العرب:٥٠٣/١٣، مادّة (شبه).

(٢) أسرار البلاغة:٧٨.

(٣) ظ: الايضاح في علوم البلاغة: ٢٢٦، ومختصر المعاني: ٢١١.

(٤) ظ: علم أساليب البيان: ١٤٨، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ٢/ ٤٢.

(٥) علم أساليب البيان: ١٤٨.

(٦) بلاغات النِّساء: ٩٩.

(٧) م.ن: ٢١٣ - ٢١٤.

(٨) م.ن : ٤٥ - ٤٦.

(٩) أساليب البيان في السور المئين(اطروحة دكتوراه): ١١٢.

(١٠) بلاغات النِّساء: ٤٩.

(١١) م.ن : ١٨٩.

(١٢) م.ن: ٦١.

(١٣) م.ن: ٧٠.

(١٤) م.ن: ١٣٠ - ١٣١.

(١٥) الغريرة: الشابة الحديثة التي لم تجرِّب الأمور ولم تكن تعلم ما يعلم النِّساء من الحَبِّ، لسان العرب: ٥/ ١١، مادّة (غرر).

(١٦) الرُّعبوبة: البيضاء الحسنة الرَّطبة الحُلوة وقيل هي البيضاء الناعمة الطويلة، لسان العرب: ٤٢٠/١، مادّة (رعبب).

(١٧) امرأة ممكورة أي مستديرة الساقين، وهي المُدمجة الخلق الشديدة البضعة، لسان العرب: ٥/ ١٨٣، مادّة (مكر).

(١٨) البَضّة: المرأة الناعمة سمراء كانت أو بيضاء، الرقيقة الجلد الظاهرة الدَّم، وامرأة بضّة أي ناعمة مُكتنزة اللّحم، لسان العرب: ٧/ ١١٧، مادّة (بضض)، والرَّخصة: الناعمة اللّينة، ورخصان المرأة نَعْمَة بشرتها ورقتها وكذلك رخاصة أناملها لينها، لسان العرب: ٧/ ٤٠، مادّة (رخص).

(١٩) بلاغات النِّساء: ٧٣.

(٢٠) م. ن: ٧٥.

(٢١) أسرار البلاغة: ١٦٤.

(٢٢) بلاغات النساء : ٧٩.

(٢٣) وهي ابنة دوشن مولى بني حيان الذي راجز جرير بن الخطفي.

(٢٤) بلاغات النِّساء: ١٢٢.

(٢٥) م.ن:٨٧.

(٢٦) آمنة بنت الشريد زوجة الصحابي عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ، وقد هاجر عمرو بن الحمق الى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعد الحديبية فصحبه وحفظ عنه أحاديث ، وقيل إنه سقى النبي (ﷺ) فقال اللهم متعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء ، وكان من شيعة علي (عليه السلام) وشهد معه مشاهده كلها (الجمل وصفين والنهروان)، وبعد أن ولي زياد بن أبيه الكوفة أخذ يطلب عمرو بن الحمق ويلاحقه، وحبس زوجته آمنة بنت الشريد عندما فرّ زوجها الى الموصل، وأرسلها الى معاوية فحبسها في سجن دمشق زمانا حتى وجّه إليها رأس زوجها عمرو بن الحمق وهو أول رأس يحمل في الاسلام، ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة،٤/ ١٠٠ - ١٠١ .

(٢٧) بلاغات النِّساء: ٧٧.

(٢٨) م. ن: ١١٩.

(٢٩) م.ن: ١١٩.

(٣٠) أدوات التشبيه في لسان العرب، لابن منظور دراسة بلاغية تحليلية، ٤١.

(٣١) بلاغات النِّساء: ١١٩.

(٣٢) عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، زوجها عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وابنها يزيد ولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١ هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك ، وربما ينسب الى أمه فيقال (يزيد بن عاتكة) ، توفي سنة ١٠٥ هـ، ظ: الاعلام للزركلي، ٨/ ١٨٥.

(٣٣) بلاغات النِّساء: ١٨٣.

(٣٤) م.ن: ١٤١.

(٣٥) ذو الإصبع العدواني هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة ، من عدوان ، ينتهي نسبه الى مضر ، شاعر حكيم شجاع جاهلي . له حروب ووقائع وأخبار ، وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر ، قليل الغزل والمديح . مات نحو ٢٢ سنة قبل الهجرة، ظ: الاعلام للزركلي، ٢/ ١٧٣.

(٣٦) بلاغات النِّساء: ١٣٤.

(٣٧) م.ن: ١٣٤.

(٣٨) البلاغة الحديثة: ٩٤.

(٣٩) الشماريخ مفردها شمراخ: العثكال الذي عليه البُسُر أو عنب، والشماريخ رؤوس الجبال، لسان العرب: ٣/٣١، مادّة (شمرخ).

(٤٠) كنهور: من السحاب المتراكم الثخين، لسان العرب: ٥/ ١٥٣، مادّة (كنهر)

(٤١) قطوف المشي: بُطئه وهو الضّيق المشي، وهي قطوف أساءت السير وأبطأت، لسان العرب، ٩/ ٢٨٥، مادّة (قطف).

(٤٢) رود: يَمشي على رود أي على مهل، لسان العرب، ٣/ ١٨٧، مادّة (رود).

(٤٣) امرأة رجراجة مرتجَّة الكفل يترجرج كفلها ولحمها وترجرج الشيء إذا جاء وذهب، لسان العرب: ٢/٢٨١، مادّة (رجج).

(٤٤) تأزر: قوى بعضه بعضًا فالتف وتلاحق وأشتد، لسان العرب: ٤/ ١٦/ مادّة (أزر).

(٤٥) الخرعبة الشّابة الحسنة الجسيمة في قوامٍ كأنّها الخرعوبة وقيل هي الجسيمة، وقيل هي الشّابة الحسنة القوام كأنّها خرعوبة من خراعيب الأغصان من نبات سنتها، لسان العرب: ١/ ٣٥٠، مادّة (خرعب).

(٤٦) السديف: شحم السنام، لسان العرب: ٩/ ١٤٦، مادّة (سدف).

(٤٧) العنقر: البردي أو القصب، يخرج أبيض ثمّ يستدير، لسان العرب: ٤/ ٦١١، مادّة (عنقر).

(٤٨) بلاغات النِّساء: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤٩) بلاغات النساء: ٢٣٢.

(٥٠) م. ن: ٢٣٢.

(٥١) م.ن: ٢٦٢.

(٥٢) بلاغات النِّساء: ٢٤١ ـ ٢٤٣.

قائمة المصادر و المراجع

- أدوات التشبيه في لسان العرب لابن منظور دراسة بلاغية تحليلية، الدكتور أحمد هنداوي هلال، د.ط، د.ت
- اسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، صححه وعلق عليه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، تصحيح : الشيخ عادل احمد الرفاعي ، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط١٦ ، ٢٠٠٥م
- الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب محمّد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- بلاغات النساء، الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور(ت٢٨٠هـ)، اعتنى به وفهرسه بركات يوسف هبّود، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، د. محمود البستاني ، دار الفقه للطباعة والنشر - إيران ، ط١، ١٤٢٤.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد / علم البيان ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين بيروت – لبنان – ط٣ – ١٩٩٠ م .
- علم أساليب البيان، الدكتور غازي يموت، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- لسان العرب أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١.
- مختصر المعاني، سعد الدّين مسعود بن عمر الهروي التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ)، ط١، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤١١هـ.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

- أساليب البيان العربي في السور المئين، هادي حسن محمد منصور، رسالة دكتوراه، على الآلة الطابعة، كلية الآداب – جامعة الكوفة، ١٤٣٠هـ، - ٢٠٠٩م.